الكنز الحقيقى

تأليف
د / حسام العقاد

رسوم
محمود الأعصر

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر
ت : ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

نظر الأب إلى شهادة ابنه الصغير، ضايقته درجاته الضعيفة، شعر بالحزن لأنه لايعطى المذاكرة الاهتمام الكافى، أراد أن يلومه ويعاتبه، ولكنه قال فى سره:

لقد أمرته بالمذاكرة كثيرا. ولكنه دائم اللعب. لا يستجيب لأوامرى.

وفكر الأب طويلا، واهتدى إلى فكرة، فدخل غرفة ابنه، وسأله فى حنان:

- ماذا تفعل الآن؟

أجاب الابن فى خوف:

- كنت أوشك أن أبدا المذاكرة.

جلس الأب بجواره، وقال فى ود:

- ما رأيك أن نجلس معا بعض الوقت، وأقص عليك قصة قديمة، كل يوم قبل أن تذاكر.

شعر الابن بالسعادة، وهتف فى فرحة:

- أحقا يا أبى؟

أومأ الأب برأسه إيجابا، وبدأ يقول:

- «ارتفع صوت المؤذن لصلاة الفجر، فغادر أحمد فراشه فى نشاط وهو يدعو الله قائلا:



- « **الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور** »(١)

وغادر القصر الكبير، متجها نحو الجامع ليصلى الفجر، ثم عاد إلى فراش والده المريض، وقال له:

-(**أسال الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يشفيك**) (٢)

فتح الأب عينيه، ونظر إلى ولده الصغير فى إشفاق، وقال فى صوت ضعيف:

- يا أحمد، دنا أجلى، سأقابل الله تعالى، وأنا أخشى أن يستولى الظالم نظير على القصر وأموالى من بعدى.

همّ أحمد أن يتكلم، ولكن الأب أشار إليه قائلا:

- أوراق ملكية الأرض تركتها عند صديقى فواز، لقد سافر ولا أدرى متى يعود، أما هذه الورقة فهى تدلك على مكان الكنز الذى تركته لك. . احرص عليه يا بنى.

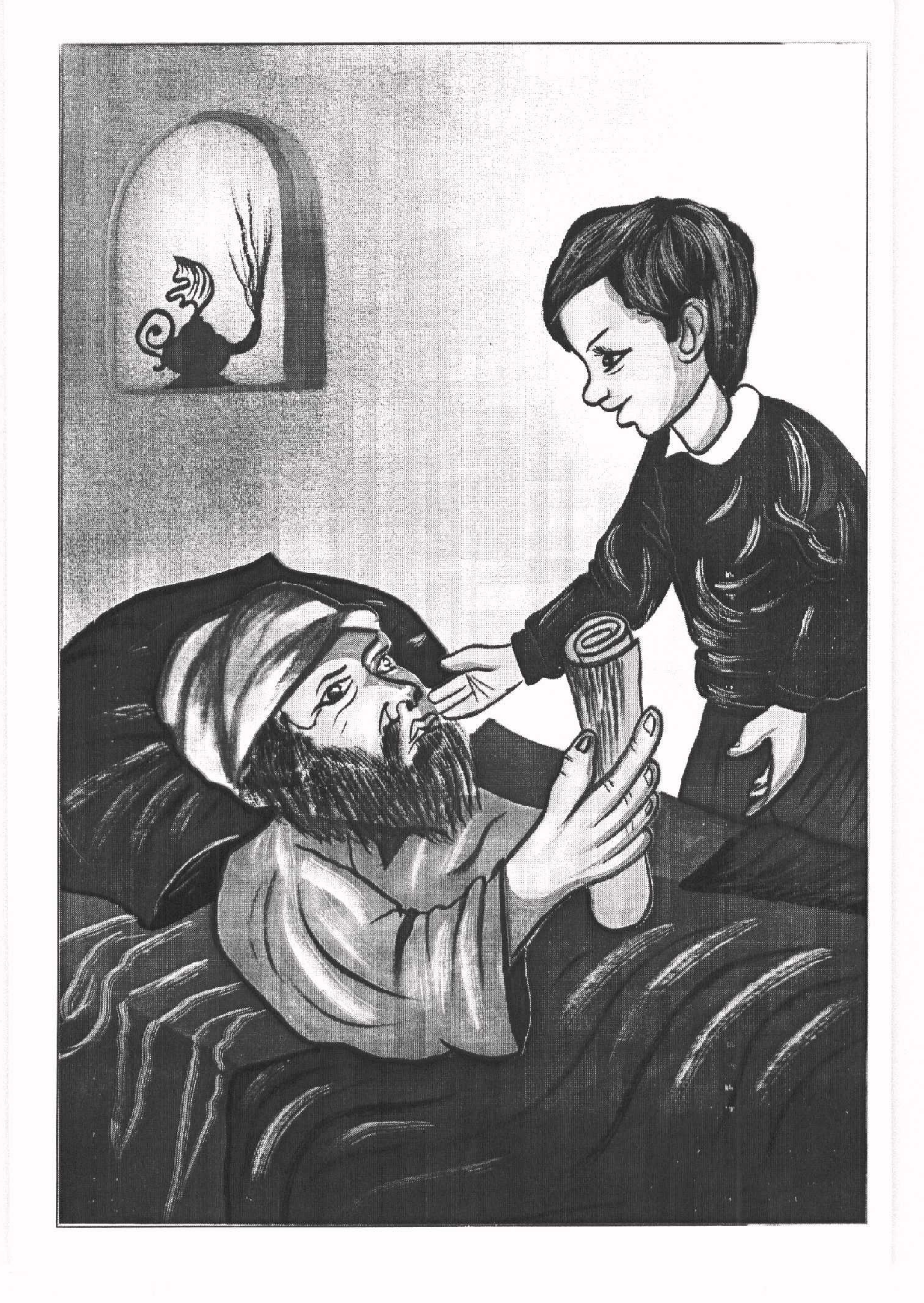
ومد يده المرتعشة بورقة صغيرة إلى أحمد، ثم تلا الشهادتين، وأسلم الروح.

وعندما علم الظالم نظيم بوفاة الأب، أسرع إلى القصر، وادعى أنه ملكه، وطرد احمد منه، ولم يستطع أحد مقاومته، فقد كان يعيث فى الأرض فسادا، وكان قويا ظالما لا يقدر

---

(١)**حديث صحيح**: أخرجه البخارى(١١/ ٦٣١٢).
وهو دعاء الاستيقاظ من النوم.

(٢)**حديث صحيح** أخرجه أبو داود(٣١٠٦)، وهو دعاء يقال للمريض.



أحد على معارضته.

ورأى نظيم الورقة فى يد أحمد، فـانتزعها منه، وقال:

ـ خريطة.. خريطة كنز.

صاح أحمد باكيا:

ـ لا..لا.. هذا ظلم.. دعها..دعها.

وأسرع نظيم يتبع إرشادات الورقة، فانتهى إلى غرفة صغيرة أسفل القصر، فتح بابها فى لهفة، وبانت خيبة الأمل فى وجهه، عندما وجد الغرفة ممتلئة بالكتب فى سائر فروع العلم والمعرفة، وقال ساخرا:

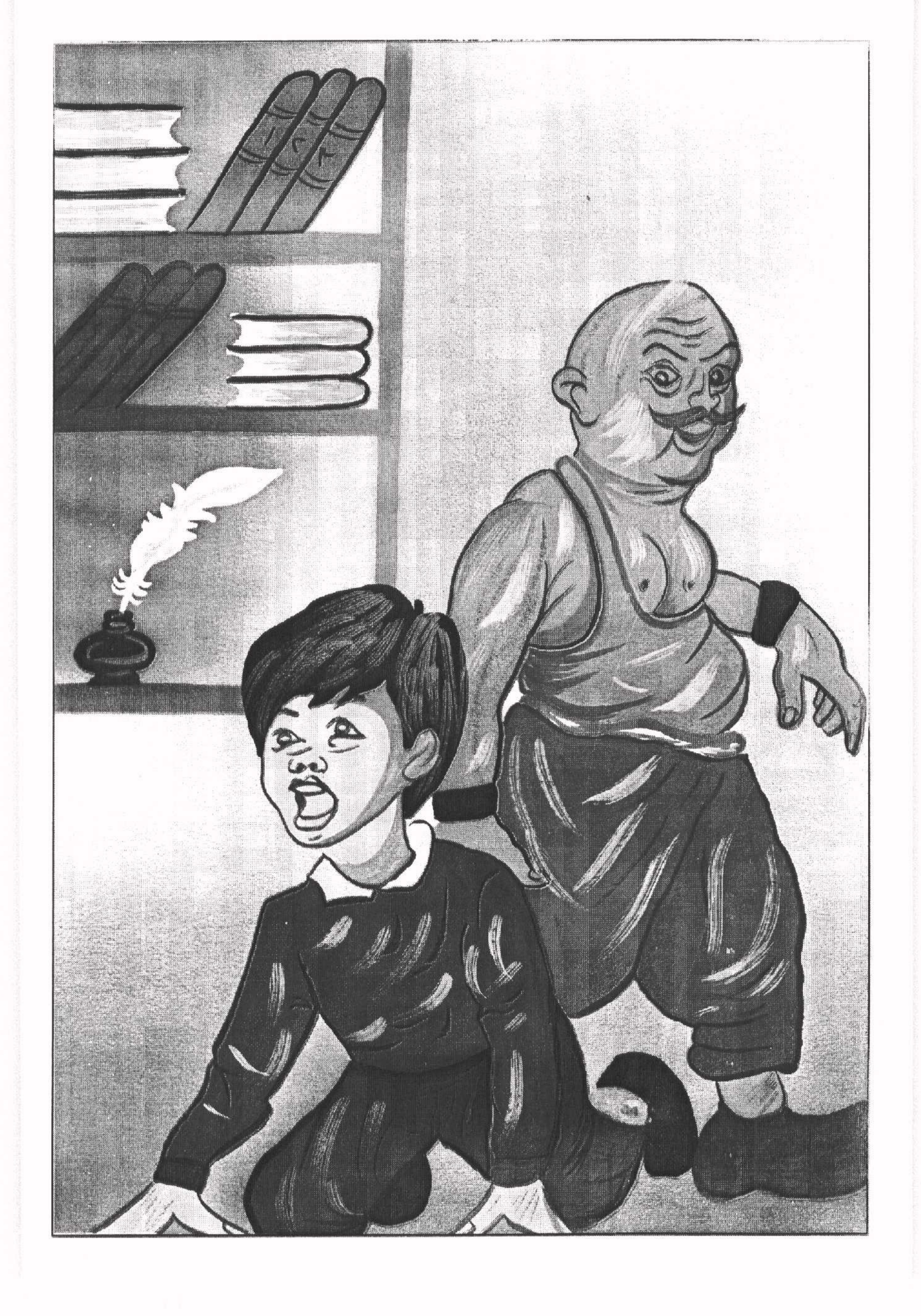
ـ أهذا هو الكنز الذى يحرص عليه والدك؟.. خذه..إنه لك.

قال أحمد فى تصميم:

ـ عندما أكبر سآخذ حقى منك.

واتبع نصيحة والده، فلم يفرط فى الكتب، بل أقبل عليها، يقرأ ويفهم ويتعلم، والتحق بالعمل عند تاجر كبير، وأعجب به التاجر لأمانته وحسن خلقه وإخلاصه وتفانيه فى العمل.

وبدأ التاجر يساعده فى دراسته، ويوفر له الوقت ليدرس ويتعلم، وساعده فى السفر والترحال طلبا للعلم، وكان يقول له دائما:



ـ إنى أحبك كابنى تماما، وأريد أن تنفذ وصية والدك، لتصبح عالما كما أراد لك.

وبذل أحمد جهدا شاقا فى عمله ودراسته، وكان كلما اشتد به التعب، تذكر قول والده:

ـ يا بنى، لقد حثنا الله عز وجل على طلب العلم، فقال تعالى:

﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾(١)

وقال: **﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾**(٢).

وقال: **﴿وقل ربى زدنى علما﴾** (٣).

وكان كلما استأذن التاجر ليسافر فى طلب العلم، قال له:

ـ اذهب يا أحمد، فى رعاية الله، ولا تنس قول النبى ﷺ: « **من سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له به طريقا الى الجنة** »(٤).

فمن يحرص على العلم يفتح الله له أبواب الجنة.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٩.

(٢) سورة المجادلة: الآية١١.

(٣) سورة طه: الآية ١١٤.

(٤) **حديث صحيح**: أخرجه مسلم(٢٦٩٩).



وكان التاجر يشجع أحمد على طلب العلم، حتى بدأ ينمو ويشتد، واقباله على العلم يتضاعف، وعندما شعر التاجر أن أحمد قد أصبح عالما، اجتمع به، وقال له:

- أريد أن أنصحك يا أحمد.

قال احمد فى احترام:

- كلى آذان صاغية يا سيدى.

قال التاجر:

- لا تبخل بعلمك أبدا على رجل، فقد حذرنا رسول الله ﷺ من هذا قائلا:

«**من سئل عن علم فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار**»(١).

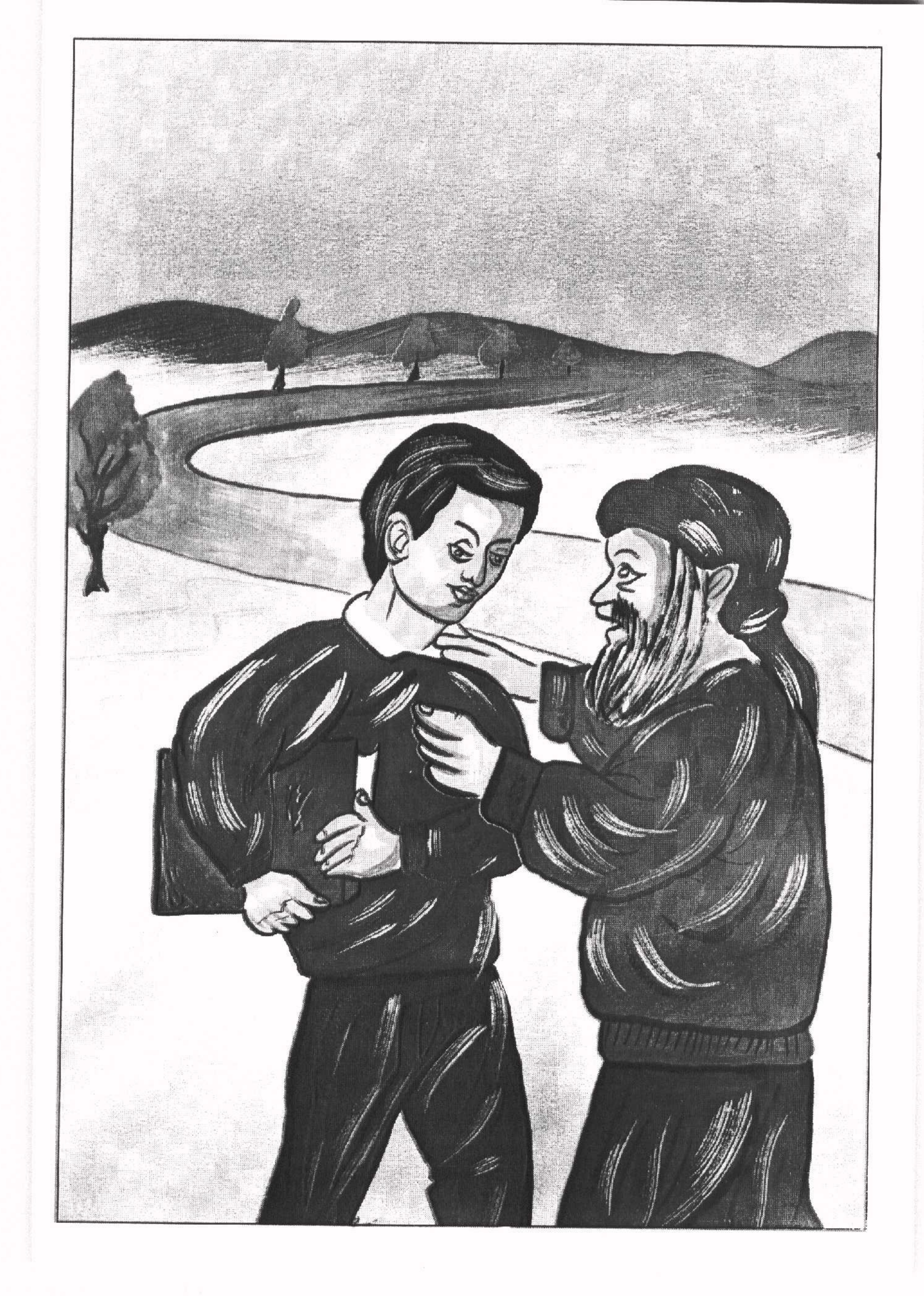
فكتمان العلم من الأمور العظيمة التى نهانا الله عنها، والتى يعذب من أجلها عذابا شديدا.

والتقط التاجر أنفاسه، ثم قال:

- إذا طلبت العلم، فلا تطلبه من أجل الدنيا، بل من أجل الله جل جلاله، واحرص أن يكون علمك خالصا لله، فمن طلب العلم للدنيا فقط دون ابتغاء وجه الله تعالى، أبعده الله سبحانه وتعالى عن الجنة، قال رسول الله ﷺ:

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه أبو داود(٣٦٥٨).



«من تعلم علما، مما يبتغى به وجه الله عز وجل، لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»[(١)].

فمن يبغى بعلمه متاع الدنيا الزائل لا يشم رائحة الجنة لأن الله يبعده عنها.

ثم تذكر فضل العالم، فى قول النبى ﷺ:

«إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمى الناس الخير»[(٢)].

فالله والملائكة والناس حتى النملة والحوت يدعون للعلماء بالرحمة والمغفرة، فهل يوجد ثواب أعظم من هذا؟

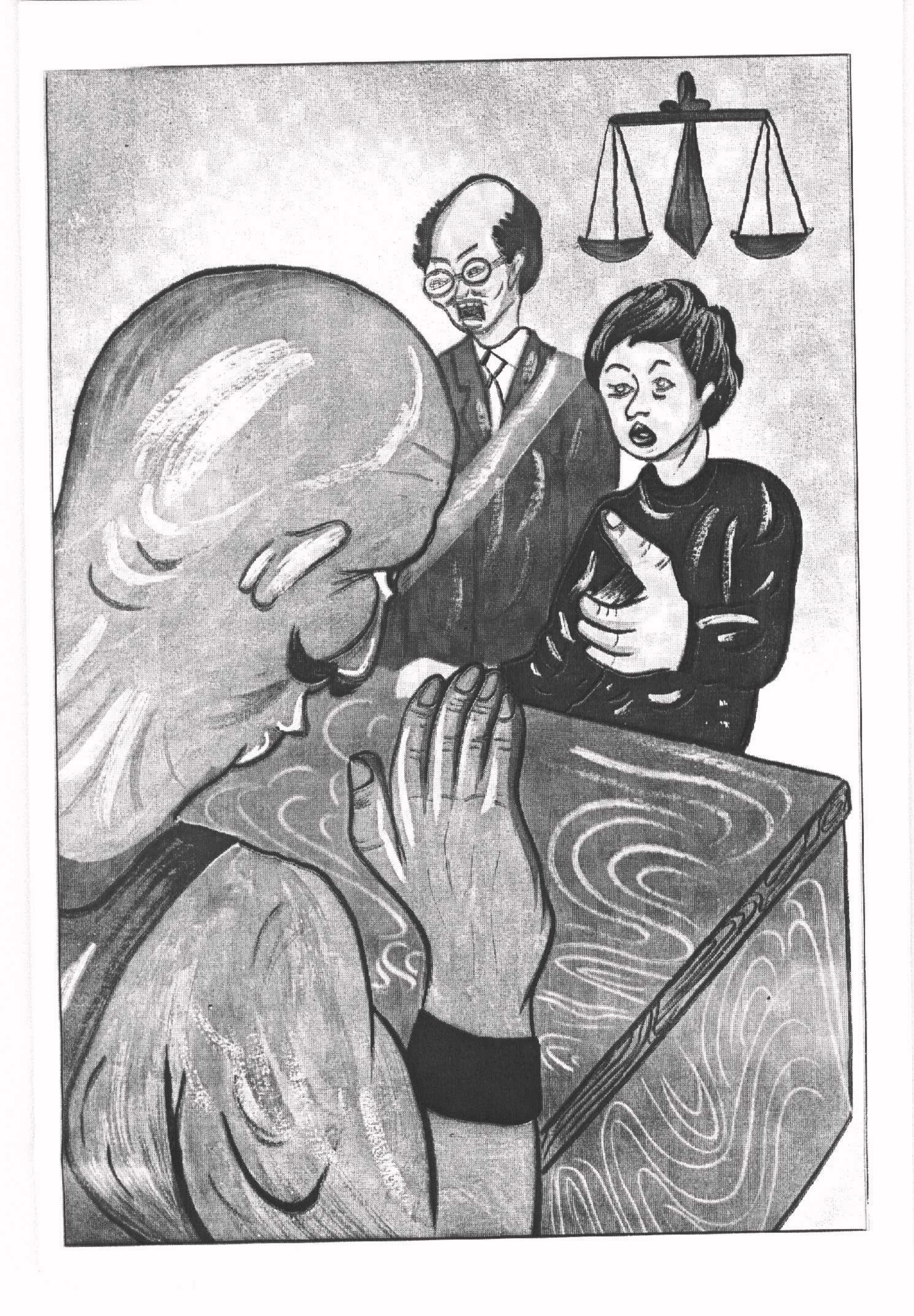
وافترق أحمد عن التاجر بعد وداع حار، وعاد إلى قريته، وبدأ يعلم أهلها، ويوعيهم، ويفقههم فى أمور دينهم.

وفى نفس الوقت عاد صديق الأب فواز، بعد غياب سنوات طويلة، وعرف أن الرجل الظالم استولى على القصر، فهرع إلى القاضى ليشكو إليه، ووقف أمام القاضى الشاب مع الظالم نظيم الذى تقدم به العمر، فصار شيخا

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه أبو داود(٣٦٦٤). عرف الجنة: ريحها الطيب.

(٢) **حديث صحيح**: أخرجه الترمذى(٢٦٨٦).



عجوزا محنى الظهر، سأل القاضى فواز:

ـ أين كنت طوال هذه السنوات؟

ـ كنت مسافرا، ومرضت مرضا شديدا، ولم أعد إلا بعد شفائى.

سأل القاضى نظيم:

ـ هل استوليت على القصر؟

أجاب نظيم فى ندم:

ـ أجل كنت ظالما، طمعت فى القصر، واستوليت عليه، ولكنى تبت إلى الله، وبدأت أعيد ما أخذته لأصحابه، ليتنى أجد أحمد لأرد له قصره، أريد أن يسامحنى قبل أن يتوفانى الله.

صاح فواز:

ـ لا تصدقه.. إنه ظالم..

قال القاضى:

ـ لكنه تاب إلى الله، وقد سامحته، أنا احمد بن صاحب القصر.

اندفع نظيم نحوه فى خوف، ولكن أحمد قال:

ـ لا تخف، أعرف أنك تبت، والله يقبل التوبة.

ـ سأترك لك القصر اليوم.



ـ لا . . لن تتركه، سأخصص لك جناحا لتقيم فيه، لقد كنت كريما معى عندما تركت لى الكنز الحقيقيى، الكتب.
واحتضن فواز ابن صديقه، وهو يتذكر قول الرسول ﷺ :

«ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا والآخرة، أن تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك».

وأحب الناس القاضى الشاب، الذى راح يعلمهم، حتى صار حاكم المدينة».

وسكت الأب، ونظر إلى ابنه، فقال:

ـ يا أبى، لقد تعلمت، سأذاكر باجتهاد، بعد ان عرفت فضل العلم.

وصدق فى وعده . .

وفى الشهر التالى، كانت شهادته تحمل الدرجات النهائية.

تمت بحمد الله

رقم الإيداع ٨٧٩٥ / ٩٨